

# أحمد الصفدي - إمام جامع الدرويشية

الأستاذ محمد عدنان الجوهري

كتاب الزيارات للقاضي محمود العدوي ( ت ١٠٢٢ هـ ) . أحد مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، قام بتحقيقه استاذنا الدكتور صلاح الدين المنجد ، فأضاف بتحقيقه له درة نفيسة الى عقد كتب التراث التي حققها وقد جاوزت المئة ، واعتمد في تحقيق هذا الكتاب نسخة فريدة ليس لها أخت . ذكر ( بروكلمن ) أنها في مكتبة ( رامبور ) بالهند . صورها معهد المخطوطات العربية . وقد جاء في الورقة الأخيرة من المخطوطة ( ب ٤٣ ) ما يلي :

نقلته من نسخة بخط ولد المصنف القاضي اسماعيل العدوي حفظه الله ، وذلك في سنة سبعين وألف على يد الحقير أحمد ، الامام بجامع الدرويشية عفي عنه .

وقال الحقوق الدكتور صلاح الدين المنجد في ترجمته للناسخ : إنه كان اماماً في جامع الدرويشية بدمشق ، ثم قال إنه لم يعثر على ترجمة له .

وهذه كلمات في ترجمة الشيخ أحمد ، أستأنفُ بها عمل الدكتور المنجد من حيث انتهى إليه ، أرجو أن تقع موقعها من كل مشتغل بهذا التراث ، يرى أن الجهد المبذول فيه على كثرته وجلالة أقدار أصحابه ،

لا يزال في أوائله ، بالقياس الى ما يمكن عمله في سادة وافرة وفرة لاتقوى عليها الجماعات في الزمن الواحد بله الافراد .

وهذا الذي أذكره من أمر الشيخ أحمد أحد أئمة مسجد الدرويشية في المئة الحادية عشرة ، حمل عليه هوى التتبع ، وحملت عليه المعرفة بإمام هذا المسجد الآن ، إذ كان ما انتهت إليه مساءً لي إتياء مقدمة وصلتها بما تيسر لي أن أقف عليه من مراجع هذا الشأن .

قال الشيخ عبد الوكيل الدروي<sup>(١)</sup> : إنه هو الشاعر أحمد الصفدي أحد أقران العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي ( ت ١١٤٣ هـ ) وأصدقائه . وقد ورد اسم الصفدي في كتاب « شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق » للقاضي يوسف بن اسماعيل النبهاني ( الطبعة اليمنية ) ( ص ١٩٩ ) وقد استشهد باستغاثته وقوله :

يا شافع الخلق في يوم الزحام أغثُ من جاء بالذنب والعصيان ينتحبُ  
عليك صلى إله العرش خالقنا والآل من المعالي كلها خطبوا

وقد عدت الى المراجع ، والمصادر أستقر بها . فوجدت ترجمة للصفدي في « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » . ( ١ / ٣٥٦ )  
لمحمد بن فضل الله المحبي ، صديق الشيخ الصفدي ، وقرينه ، كما وجدت ترجمة له في مخطوطة عندي فيها مجموع رسائل أحدها ثبت الشيخ يوسف بن حسين ( النقيب ) الدمشقي ( ت ١١٥٣ ) ، نقيب الأشراف ، ومفتي الحنفية بحلب ، وأحد تلاميذ الشيخ الصفدي ، وقد سُمي ثبته ( كفاية الراوي والسامع وهداية الراوي والسامع ) .

(١) امام مسجد الدرويشية .

ففي هذين المصدرين وجدت ضالتي المفقودة ، وبغيتي المنشودة ،  
فهو الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد  
الصفدي ، الدمشقي الموطن ، الشافعي ، ثم الحنفي ، الاديب الفاضل ،  
واللبيب الشاعر .

#### مولده :

ولد بصفد نحو سنة ١٠٤٠ هـ ، وقدم دمشق ولم يجاوز العشرين ،  
فأقام بجامع المرادية مشتغلا بعلم القراءات ، ونسخ الكتب ، وكتب  
كثيرا .

#### أساتذته وشيوخه :

تلقى الصفدي العلم عن علماء عصره ، فمن شيوخه ( منصور  
السطوحي ) . والشيخ ( عبد القادر الصفوري ) . واستجازها ، فأجازاه  
بما لها . ثم ارتحل الى الحرمين الشريفين ، وأخذ بمكة المكرمة عن الشيخ  
عبد العزيز المكي سبط ابن حجر الهيتمي ، وأجازاه ، ثم عن عالم مكة  
محمد بن سليمان المغربي ، المالكي ، ثم أخذ الاجازة من محدث دمشق شيخ  
الاسلام النجم الغزي ، وعن شيخ الحنفية الشيخ خير الدين الرملي ، وعن  
العلامة الشيخ اسماعيل النابلسي ، والد الشيخ عبد الغني النابلسي ، ومن  
أساتذته العلامة محمد المحاسني ، خطيب الجامع الاموي بدمشق ، والمحدث  
الفقيه عبد الباقي الحنبلي البعلبي ، ومحدث حلب الشيخ وفا العرضي ،  
الشافعي ، والمحدث الصوفي أحمد القشاشي<sup>(٢)</sup> الدجاني ، المدني . والعلامة أبو

( ٢ ) القشاشي نسبة الى القشاشة وهي بيع سقط المتاع .

السعود الشعرائي ، والنحوي الاصولي الشيخ يحيى المغربي ، الشاوي ، المالكي . والفقير رمضان بن موسى العطيبي وغيرهم .

### وظائفه :

عمل الشيخ الصفدي شاهداً بالمحكمة الكبرى ، ومحكمة الباب ، ودرس بالمدرسة العمريية ، بالصالحية بدمشق . وصار إماماً بجامع المرحوم درويش باشا ، وخطيباً بجامع الآغا ( بالناخلية ) . ثم سافر الى الروم ، ونال جهات ، ومعالم . وكانت أكثر إقامته بالخلوة التي كانت في جامع الدرويشية يدرس فيها القراءات ، والحديث ، والعقائد ، والفقهاء ، والأدب .

### شعره :

يقول الشاعر محمد بن فضل الله المحبي صاحب ( خلاصة الاثر ) عن شعر الشيخ أحمد الصفدي : « شعره عليه مسحة من الطلاوة ، وبالجملة فهو ممن ينوه بذكره ، ولا يهمل ايراد شعره . » فهو كثير الشعر ، ندي القلم .

ولما سرق ديوان الشيخ أحمد الصفدي . جمع ديواناً آخر أكثره من شعره المنظوم بعد ذلك ، وقد ظفر في مسوداته ببعض المروق ، فألحقه به . فكان الشيخ محمد المحبي ( صاحب الخلاصة ) يداعبه كلما قرأ له شعراً من الديوان المذكور ويقول له : « أظن هذا من الشعر المروق » . فيفطن الشيخ الصفدي للغرض والتورية ويبتسم . وقد أجاز تلميذه الشيخ يوسف بن حسين ( النقيب ) بمنظومته في العقائد التي سماها الفرائد السنّية للعقائد السنّية ، أجازة نظماً وأرخ ختمه لها سنة ثلاث وتسعين وألف ، وهذه أبيات من تلك الاجازة :

حمداً لمن حبا كمال المعرفة  
 لاسياً أثمة العقائد  
 وإن من جسد فيها واجتهد  
 ولدنا العزيز ( يوسف التقي )  
 فإِنَّهُ لَازْمِنِي فِي حَجْرَتِي  
 منظومة الفرائد السنية  
 نبيّه محمداً وشرفه  
 السواردين أطيب المسوارد  
 ونال منها سؤله وما قصد  
 السيد الفرد الأغر المرتقي  
 وقد قرا عليّ حسب قدرتي  
 في معظم العقائد السنية

ومن مستظرفاته ما كتبه لصديقه الشيخ عبد الغني النابلسي ، ينتدعيه  
 الى روض ، وأرخ الدعوة بقوله :

مجلسنا عبد الغني نزهة  
 فشرّفونا وأحضروا عندنا  
 لناظر خيال عن الخوض  
 فنحن في التاريخ في روض  
 ومن مراسلاته مع المحبي صاحب الخلاصة ، عندما كان المحبي مقيماً بالروم ،  
 قصائد منها قوله :

على الخبر الأجمل المستقيم  
 كثير الخير ، مفتاح العطايا  
 محمد الأمين ومن تسامى  
 وقد أجابه المحبي بقصيدة منها :

تذكر لذة العيش المقيم  
 وبات مؤرقاً يطوي ضلوعاً  
 فحنّ لذلك العهد القديم  
 على شغف بشادنه الرخيم  
 تأليفه :

له منظومة في العقائد سماها « الفرائد السنية في العقائد السنية »

شرحها العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي في ثلاثة مجلدات واختصرها الصفدي في مجلد واحد . وللشيخ كتاب جمع فيه ألف حديث رتبته على حروف المعجم . كما أن له ديوان شعر شَرِقَ منه ، ثم عاد فجدده .

#### أخلاقه :

كان الشيخ أحمد الصفدي غاية في حسن الخلق . سخي الطبع ، لطيف المعاشرة ، طريف النكتة ، والنادرة ، كثير الشعر ، ندي القلم .

#### وفاته :

توفي الشيخ أحمد الصفدي رحمه الله تعالى نهار الجمعة في السادس عشر من ربيع الثاني . سنة مئة وألف للهجرة / ١١٠٠ هـ . ودفن في مقبرة باب الصغير ، ولم يجاوز الستين بكثير .

#### ورثاه صديقه المحي بقوله :

لهفي على الصفدي فرد الدهر من لعلاه كفو المكرمات تُشير  
طود الفضائل دكّه حكم القضا فالأرض من أقصى التخوم تمور  
فانظر ترى عجباً وقد ساروا به جبلا غدا فوق الرجال يسير

هذا هو الشيخ أحمد الصفدي ، كالبدر في سماء القرن الحادي عشر الهجري . ينير الطريق بمؤلفاته ، وشعره ، ونسخه ، الذي لولا أقلام الباحثين أمثال أستاذنا الدكتور صلاح الدين المنجد ، لما تسنى لنا أن نعرف شيئاً من آثاره ، وأن يقتني الأحفاد آثار الاجداد في نبش هذه الكنوز من الكتب التي سهرت في جمعها عيون ، وأنفقت في كتابتها وصيانتها عيون .

محمد عدنان الجوهرجي